وليس من شك في أن للحكيم تجارب أحرى مع المرأة سواء في مصر حيث اعترف هو نفسه بذلك[39]، أو في فرنسا حيث أتيح له أن يتصل بالمرأة على نطاق واسع[40].

ولكن هذه التجارب كانت مادية بحتة، ولم تؤثر في آرائه ـ بالطبع ـ كما أثرت تجربته مع «سنية» و«إيمادوران» اللتين أحس معهما بالحب الرفيع.

أما ما يذكره الحكيم من أنه كان يحس في مرحلة الطفولة بشعور خاص نحو صبية[41] في مثل سنه أو أصغر قليلاً ـ كان يتشوق على لقائها واللعب معها، ويشعر بالغضب المكتوم والحسرة والاكتئاب كلما لمحها تفضل طفلاً آخر عليه، وتهتم به، فلا اعتبار له عندنا، لأنه مجرد ميل طبيعي في سن مبكرة، وليس تجربة حب. وهذا ما نقوله أيضاً عن المغنية «الأسطي حميدة»، وهي التي سماها «شحلع» في روايته «عودة الروح» التي كان يطرب لسماع أغانيها ويحفظها، ويرجوها أن تعلمه العزف على بعض الآلات. وقد اشتد إعجابه بها إلى حد أنه شعر نحوها «باحساس يكاد يشبه الحب»[42].

ومهما يكن من أمر، فإن الذي نأخذه على الحكيم هو حكمه على النساء بصفة عامة من خلال تجربته مع امرأتين أو نساء قلائل، وكان من الأولى أن يحكم على المرأة بغض النظر عن كونه أخفق في حبه لها أو لم يخفق.

4 ـ أما عن منبع الخلفية الثقافية للحكيم، فإنه عندما سافر إلى فرنسا استطاع أن يطلع على المسرح الأوروبي اطلاعاً واسعاً، وأن يتأثر بعدة كتاب غربيين ويقلدهم في بعض أشكالهم الفنية، كما اعترف هو نفسه في مقدمة «مسرح المجتمع»[43].

ولم يأخذ الحكيم بعض الأشكال الفنية عن الغربيين فحسب، وإنما أخذ عنهم أيضاً بعض الاتجاهات في المسرح، مثل الاتجاه الفكري أو الذهني الذي ظهر في القرن الماضي في الآداب الغربية، والذي ابتدأه «هنريك إبسن» النرويجي[44]، وبرع فيه كل من «حورج برناردشو» الإيرلندي، و«لويجي بيراندييللو» الإيطالي. والملاحظ أن الحكيم كثيراً ما كان يبدي إعحابه بهؤلاء